2 اعياد ايام زمان في ذاكرة العراقيين

3 (يا عيد يا بو نمنمة.. خذني وياك للسينمة)

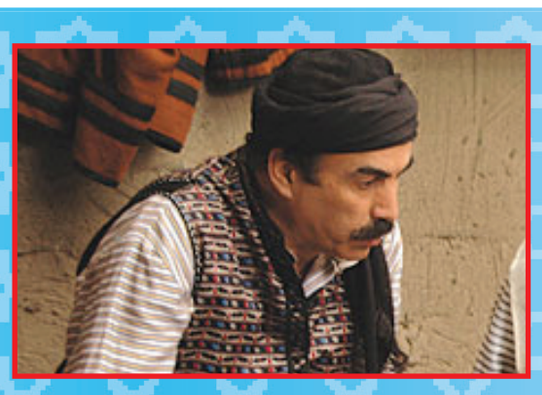

4 ابوالنار ظلموني في باب الحارة

مناسبة العيد في ضمائر العراقيين لحظة تاريخية فارقة، فبعد عناء شهر كامل من الصوم يأتي عيد الفطر كمكافأة عظيمة للصائمين، ولا يذكر العيد، الا وذكرت (العيدية) والحدائق ومدن الألعاب والدواليب والملابس الجديدة التي ترتبط بالمناسبة.. ولا يذكر العيد، الا وتذكر شعائره التي يحييها المؤمنون من صلاة وتزاور ومعانٍ سامية واهداف نبيلة في مقدمتها التسامح والتصالح ونبذ الضغائن

عيد الفطر المبارك في ربوع وادي الرافدين

بانوراما حافلة نسيجها الحب والتواصل والأفراح

احمد كاظم

فهو إذاً يوم مهيب ومناسبة حافلة تحفل بها الذاكرة العراقية.. وهي طقوس وممارسات اجتماعية يمتزج فيها الايمان بالفرح، جاءت عليها السنون لتغير الكثير من مفرداتها، وزحفت عليها الحداثة في الأشياء لتبدل العديد من آلياتها، فماذا تختزن ذاكرة العراقيين شيبهم وشبابهم في ذكريات العيد؟ وأهلا بك عيد الفطر وأنت تحل علينا لتحمل إلينا العيدية والمراجيح والفرح وطقوس الإيمان والمحبة.

يقول ماجد العبيدي (٤٥) عاماً من منطقة المشتل:

ـ كان العيد كالعسل في حلاوته وكالمسك في رائحته وكنا نتهيأ له من جانبين، فالعائلة من جهة لها استعدادات النظافة والطعام وغيرها من الأمور، أما نحن الصغار فكنا نهيىء ونغتسل وننام باكراً للنهوض مبكرين للحصول على العيديات والذهاب الى اماكن التسلية، حيث كانت تنتشر اماكن اللهو وفيها المراجيح ودواليب الهواء والعربات التي تجرها الخيول وكذلك ركوب الخيل برغم ما فيه من مخاطر، بينما كان الصبية الذين تبلغ اعمارهم عشر سنوات فما فوق يذهبون الى دور السينما في مركز بغداد كمنطقة الباب الشرقي وغيرها، حيث كان الدخول الى تلك المناطق حسب الدرجات ومبالغها مختلفة من ٤٠ فلساً و٦٠ فلساً وهكذا صعوداً، وكنا نتناول سندويجات الفلافل المغمسة بالعمبة بنهم غريب في ايام العيد واتذكر ان البائعين يبعونها على شكل لفة ونص لفة وربع لفة، وكان جميع الاطفال يحاولون وضع ميزانية لهم من خلال ادخار جزء من مبالغ العيديات لليوم التالي حتى لا تفوتهم فرصة التنزه والاستمتاع بيوم العيد، بينما كان الواحد منا يضحي باليوم الاول فيقضيه في استقبال الضيوف مع العائلة او الذهاب مع الاهل الى الاقارب وطبعاً هدفنا الحقيقي نحن الاطفال الحصول على مبالغ العيديات كونها تشكل المعين لنا لقصد اماكن الترفيه، وخروجنا كان على شكل جماعات يقدر عدد المجموعة من خمسة الى عشرة اطفال وكانت روح الجماعة حاضرة بيننا.

المواطن عادل موسى (٣٠ عاماً) عرض بعضاً من ذكرياته عن العيد قائلاً:

– لقد ذكرتني بحادثة حصلت لي في طفولتي حيث كنت اشترط على والدي شراء بدلة لي في العيد ولا اقبل ان ارتدي غيرها وألبسها في كل عيد لأذهب إلى أماكن التسلية، وفي احد ايام الاعياد لبست ثيابي الجديدة وهيأت نقودي أملاً في ان يأخذني اخي الاكبر الى تلك الاماكن، لكنه رفض اصطحابي معه وتركني وذهب فثارت ثائرتي ومزقت النقود وتمرغت بالتراب واتسخت ملابسي وصاحبتني موجة بكاء شديدة وبعد مدة قصيرة عاد اخي واصطحبني وانا على هذه الحال لأشبع رغباتي في الالعاب حيث اصبحت محط انظار الجميع، أما اكثر ما افعله ألان في الاعياد فهو منح الاطفال العيدية بشكل لا يوصف رداً مني على الغصة التي كانت تتملكني عندما يحجم بعض الأقارب والأصدقاء عن منحي العيدية وكنت ابكي في بعض الاحيان، العيد سابقاً كان اجمل وكان بسيطاً وقد انحسر افق الفرحة التي كنا نشعر بها في زماننا، وكانت العوائل تبدأ اعيادها باداء صلاة العيد او الذهاب الى المقابر والتجمع في اماكن بهدف الحصول على لحظات من الفرح والسعادة، وهناك أمر آخر هو ان ما يجمل العيد ويزيده بهاءً هو كثرة اماكن اللهو والراحة ولكننا مع شديد الاسف نشهد إندثار الكثير من تلك الاماكن، على الرغم من ان عدداً من أماكن الترفيه تفتح ابوابها مثل متنزه الزوراء ومدينة العاب الرصافة وجزيرة بغداد السياحية وغيرها للقاصدين.

الكثير ممن التقيناهم كانت الحسرة على ايام الاعياد في الماضي ترافق كلامهم ولكن التفاؤل يحتاج الى جهد وهذا ما اشار اليه الدكتور "سلمان عبد الواحد كيوش" (٥٤ عاماً) احد اساتذة جامعة بغداد قائلاً:

ـ نستطيع القول بكل جرأة ان في مراسيم العيد اشارات واضحة على الاستقرار والأمن النفسي وعليه يمكن الخلوص الى ان ما يفعله الناس في العيد دلائل واضحة على ما يتمتعون به من توافق بين تطلعاتهم السياسية والاجتماعية وحرص الحكومة على خدمة هذه التطلعات.. لقد غادر المجتمع العراقي الكثير من طقوسه الى حد ان هناك فارقاً هائلاً بين مراسيم العيد الان وما كانت عليه قبل مدة. والغريب اننا كلما اوغلنا في الغوص في الماضي نجد الفارق يزداد، ربما كان مرد هذا الى مجمل القوانين الحضارية والزحف التقني الذي يؤدي دوراً مؤثراً كبيراً، ومع هذا فان اصول العمل الاجتماعي والجذوات باقية لا تحتاج الا الى القليل من الاظهار لتعود وتحتل الصدارة من جديد، وهذا الجهد يحتاج الى السياسي اكثر من حاجته الى غيره، لان السياسي اكثر فعالية من الآخرين لاسيما انه يملك الأدوات الاقتصادية وقوة القرار وتسيير امور الدولة برمتها، لذلك فان قرارات مثل منح مبالغ مالية للعوائل واكثار اماكن الراحة والقضاء على التضخم وبذل الجهد الآلي لوزارة النقل خلال الأعياد وغيرها الكثير من الأمور الأخرى كمنح عطلة العيد لأسبوع كامل بدل ثلاثة ايام يقضي على الفروقات الطبقية والخلافات العقيمة بخصوص أول يوم العيد التي غالباً ما تخلق جواً مشحوناً بالاختلافات وفتوراً في ممارسة طقوس العيد.

الفرق كبير في العيد بين الزمنين هكذا قال يوسف عبادي (٣٠ عاماً) وأضاف:

ـ كانت هناك منظومة اخلاقية كبيرة تحكم الروابط والعلاقات بين افراد المجتمع حيث كانت الفطرة سيدة الموقف ومناسبة العيد تنتهي فيها كل الخلافات والنزاعات بين العوائل، فترى الجميع يسهم في انهاء تلك الخلافات البسيطة والكبيرة، وقد انخفض معدل تلك الروابط القوية عن السابق حيث اسهمت الظروف غير الطبيعية التي مرت بالبلاد في احداث هذا الشرخ، وهناك امر آخر يتمثل في اختلاف الالعاب ووسائل الترفية عن السابق حيث كانت اغلب الالعاب بدائية وميكانيكية وسهلة، أما الآن فالتقنية والتكنولوجيا والعاب الفيديو والبلي ستيشن غزت الاسواق والشوارع والبيوت حتى اضحت وسيلة الترفيه الاولى وهي امور كان العراق بعيداً عنها سابقاً ومحافظاً على طقوسه.

زغاريد وصلوات وتكبيرات بهذه الفعاليات يستقبل اهالي النجف خبر العيد قبل ممارسة طقوسه هذا ما اكده المواطن كاظم الموسوي (٥٠ عاماً) وهو من اهالي النجف الاشرف، يقول:

– العيد في مدينة النجف الاشرف له طقوس عدة كونها مدينة دينية فكان الناس يصعدون الى اسطح المنازل ويستهلون فاذا شاهدوا هلال العيد ارتفعت زغاريد النساء وتكبيرات الرجال وصلواتهم وتطلق العيارات النارية لاشهار نبأ يوم العيد، اما اذا لم تتم رؤية الهلال فترى الناس تبقى لساعات طوال من الليل تنتظر امام باب مكتب المرجع الديني لمعرفة يوم العيد، بينما تعيش البيوت النجفية حالها حال البيوت العراقية حملات التنظيف واعداد المعجنات وغيرها من الامور المطلوبة وتشتد حركة شراء الملابس قبل يوم العيد، ويبدأ النجفيون يومهم بصلاة العيد والذهاب الى مقبرة وادي السلام لزيارة قبور اهليهم، ثم تنطلق الوفود مهنئة بعضها البعض فيما تتجمع العشائر في دواوين شيوخها للتهنئة وقد يكون هذا المحفل بهذا التواجد الضخم مقتصراً على المناطق الفلاحية في العراق، وكنا نخرج الى الشوارع لركوب (الربل) الذي يتحول من وسيلة نقل داخلية الى وسيلة ترفيه فيطوف بنا في شوارع الرسول والصادق وزين العابدين قرب ضريح الامام علي (ع).

عبد شاكر صحفي وشاعر يقول:

– العيد حاله حال كل مظاهر الحياة اذ زحفت عليها الحضارة سلبت منه براءته وتلقائيته وطيبته، ومن استذكاراتي للعيد في ما مضى من السنين كانت لدينا طقوس جميلة تبدأ من ليلة العيد التي تسمى (عرفات) حيث نذهب للحلاقة ونغتسل ونهيىء الملابس وكان اغلبنا يضع ملابسه تحت الوسادة، بل حتى الحذاء كنا نضعه مع الملابس حالمين بانقضاء ساعات الليل بسرعة لاستقبال العيد السعيد، وكانت الألفة والمحبة فيما بين العائلة الواحدة والعوائل المتعددة من خلال التزاور فيما بينها واقامة الولائم ومنح العيديات، واتذكر اننا كنا نصعد في العربات التي تجرها الخيول المخصصة لنقل البضائع وتتحول في العيد الى وسيلة ترفيه وما زالت الاهازيج التي كنا نتداولها عالقة في ذهني مثل: (روحة وجيه سلامات على عناد السيارات، ويا عيد يابو نمنمه أخذني وياك للسينما) اما اذا ما وقع احد اصدقائنا وتوسخت ملابسه فسيتعرض الى تقريع حاد من اقرانه الاطفال مرددين اهزوجة(زعل عليه العيد).

ولكن انهيار تلك الطقوس الجميلة بدأت مع حروب الطاغية التي فعلت فعلها في تشتيت العوائل وفي تفريق الاحبة وبعدها الحصار الذي عانى منه العراقيون ليدق اسفين العوز والكفاف وعدم الاستطاعة على تحمل متطلبات العيد لكن نتمنى ان يعود الحال الى سابق عهده من المحبة والألفة.

في البياع كانت العوائل تعيش الأعياد بفرحة غامرة، يقول محمد صبار (٥٣ عاماً):

– نكهة العيد في السابق تختلف عن الوقت الحاضر فكنا نعد للعيد الايام منذ اول يوم رمضان، وكانت حياتنا وملابسنا بسيطة وافراحنا كبيرة وكثيرة وصلة الرحم قوية والوشائج العائلية والعشائرية كبيرة جداً، ادوات فرحنا كانت بسيطة حيث المراجيح متكونة من جذوع النخيل و(التبلية) التي يستخدمها الفلاح الذي يقص سعف النخيل وكان الربل وسيلتنا للترفيه داخل الازقة، وكنا نذهب من البياع الى متنزه المحطة العالمية مقابل مرآب العلاوي لنستقل الالعاب فيه وكان هناك ساحر يقدم وصلات ممتعة وكذلك توجد بعض الحيوانات التي تشكل حديقة حيوان مصغرة، اما العيديات فكانت لا تتعدى مبلغ خمسة فلوس او عشرة ومن يحظى بمبلغ الدرهم فهو في برج سعده، اما ما يميز صباح العيد فهو إفطار جميع العوائل البغدادية على الكاهي والقيمر والصمون الحار الذي ينفد بسرعة في هذا اليوم وهو تقليد يمارسه الجميع من دون اتفاق.

مناطق الكرخ القديمة كانت لها طقوس خاصة بها مع طقوس مشتركة مع بقية مناطق بغداد، يقول الحاج عبد الله الخنيني (٦٧ عاماً):

– يشترك الجميع في الكرخ بتنظيف الأزقة بعد تنظيف مساكنهم ويذهب الجميع تقريبا الى الحمامات العامة التي كانت منتشرة هناك وتعد النساء المعجنات والحلويات وكان هناك ملبس خاص ليوم العرفات هو عبارة عن "دشداشة بازة في الشتاء وحرير في الصيف وعرقجين"، ومنذ الصباح يكمل الأهالي صلاة العيد في مرقد الشيخ معروف الكرخي ويزورون قبور احبتهم في مقبرته ويذهب اغلب الاهالي بعد الإفطار الى الجوبي وهي ساحات كبيرة تنتشر فيها الالعاب والعربات والربل وكذلك حلقات (الساس) حيث تقوم مجموعة من الشباب بالرقص على انغام المزمار المسمى (المطبك) والطبل ويتبارز اثنان يمسكان بيدهما خيزرانة ودرعا صغيرا وسط تصفيق الحاضرين، وتصاحب رقصات الجوبي والساس اغاني وقصائد واناشيد، بينما يجوب شوارع وازقة محلاتنا "ابو الدمام" وهو الشخص الذي يدور خلال ساعات الليل في شهر رمضان يقرع طبله ليوقظ الصائمين على تناول السحور، ليجمع الاكراميات من الاهالي يصاحبه الاطفال الذين يرقصون على انغام طبله، وكلما توقف قليلاً صاح الاطفال (دك النه شويه بروح أمك) فيعود لعزفه ويعودون الى رقصهم.

العدد (1903) السنة الثامنة
الاربعاء(8) ايلول2010

http://www.almadapaper.com
E-mail: almada@almadapaper.com

ايام من رمضان

دعوة للابتهاج

كاظم الجماسي

للعيد الذي سيحل غداً بيننا ذكريات حافلة بالمفارقات، على المستوى الشخصي عندنا كأفراد ولدوا وعايشوا ظروفا تفترق في كثير من توصيفاتها عن ظروف الأجيال اللاحقة، وإذا ما قورنت(استلابات) الأجيال اللاحقة بـ(امتيازات) جيلنا نحن المولودين أبان خمسينيات القرن الماضي، حين كنا ننعم ببعض صور(الترف) النسبي في مناحي الحياة العامة، يمكن لنا ان نصفها في ابسط الأحوال امتيازات عيش إنسانية..سنلمس مفارقة واضحة ولكنها مؤسفة مع ما حصلت عليه أجيال الثمانينيات والتسعينيات وما بعدهما حتى اللحظة الراهنة.

ومازالت ذاكرتنا ندية بحدائق بغداد العامة سواء الرئيسة الموزعة على أكثر من بقعة في مركز بغداد، او تلك المنتشرة في مختلف مناطق العاصمة أيضاً، مازلنا نتذكر حديقة الأمة وأشجارها الوارفة التي تظلل خمائل الجوري والرازقي التي يغسلها طوال النهار رذاذ النوافير المتدفقة، مثلما نتذكر متنزه بارك السعدون والمتع التي لا يمكن ان تمحى من ذاكرة العوائل البغدادية، ومن ثم المساحات الخضر الواسعة لمتنزه الزوراء، ومن ثم جاءت بعدهما جزيرتا بغداد و الأعراس وغيرها من المتنزهات العامة والخاصة، ولم يك الأمر مقتصراً على الحدائق والمتنزهات،بل كانت في حوزتنا خيارات باذخة، ونحن نتجول في شارع الرشيد او شارع السعدون اوشوارع وساحات الباب الشرقي او في منطقة العلاوي ، ننتقي فيلمنا المفضل لنشاهده بين عشرات العروض السينمائية التي تتبارى دور العرض المنتشرة بكثافة في تلك الشوارع والساحات، بل يتعدى الأمر ذلك إلى انتشار تلك الدور السينمائية في معظم المناطق السكنية في صوبي بغداد، الكرخ و الرصافة، ولن تقف المتعة عند هذا الحد، بل تمضي ابعد من ذلك لتمضي سهرة مبهجة انت وعائلتك، متفرجين متفاعلين مع احد العروض المسرحية التي كانت مسارح بغداد تحفل بها، فهنا مسرح الستين كرسي، وهناك قاعة الخلد وهنا قاعة الشعب وهناك خشبة مسرح بغداد، وخشبتي مسرح الرشيد والمسرح الوطني فيما بعد، فضلا عن قاعات العروض المسرحية المنتشرة في أروقة الجامعات وبنايات الثانويات، بل حتى بعض المدارس الابتدائية.

ولم يعدم عشاق الرياضة أماكن فارهة الى حد ما لممارسة هواياتهم الرياضية، فالملاعب كانت تنتشر كما النبت الطبيعي في كل أرجاء بغداد، سواء تلك التي تعود الى الدولة او تلك التي يصنعها الشباب الطافح بالفتوة في المساحات الفارغة بين الأحياء السكنية، لتقام عليها كرنفالات الفرق الشعبية التي لا يجتمع فيها هواة الرياضة ومشجعوهم من الذكور فحسب، بل كانت هناك أيضاً بنات المحلة المتحمسات لفريقهن المفضل الذي يضم بنحو أكيد الأخ والحبيب وابن المحلة أيضاً.

أما عشاق التشكيل فلا تفوقهم فئة من فئات عشاق أصناف الفن والإبداع في ممارسة عشقهم على صالات الغاليرهات سواء المملوكة للدولة ام تلك التي يمتلكها بعض عشاق الفن الرفيع، فهنا قاعة كولبنكيان وهناك قاعة الاورفلي وهنا قاعة الرواق وهناك قاعة الرواد وهناك قاعة جمعية التشكيليين فضلا عن قاعات الكليات والمعاهد وكذلك اسيجة المتنزهات والحدائق لتقام عليها معارض في الهواء الطلق.

لقد كان زمنا مكتنزا بالمتعة توجته أماكن اللهو الليلية من بارات ونواد ومراقص شكلت متنفسا صحيا لطاقاتنا يوم كنا نضج حياة وتوقاً، وقد تعمقت هوة المفارقة بين امتيازات جيلنا والأجيال التي تفتح وعيها فأصطدمت بهول الحروب وفجائع الاستبداد وباتت منكسرة غير آبهة بالمستقبل قانطة يائسة، واليوم ونحن على أعتاب السنة السابعة بعد الزلزال – الانعطافة(٢٠٠٣/٤/٩) والعيد يطرق ابوابنا، ينبغي لنا جميعا ان نبتهج حقا، على الرغم من الإحباط الكبير الذي نعانيه في لا مبالاة ساستنا بمصائر الملايين التي رشحتهم لقيادة دفة السفينة، ينبغي لنا أن أنبتهج لا لشيء، وإنما ليس من خيار لنا سوى الابتهاج وإدامة روح الفرح كنوع من أنواع المقاومة الوجودية ضد كل أسباب الحزن وبواعث النكوص، وكل عام ونحن والقراء أينما حلوا بألف بهجة وسرور.